تطور الأفعال الكلاميّة: من الحجاجيّة إلى النصيّة

The development of Speech acts ; from the argumentative to the textuality

طالب الدكتوراه/ عبيد بن حملة
المشرف: الأستاذ الدكتور/ الجودي مرداسي

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة باتنة1-(الجزائر)

مخبر: الموسوعة الجزائرية الميسرة، جامعة باتنة1.

benhamlaabid@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/04/06 تاريخ القبول: 2020/06/05

ملخّص:

إذا كانت التداولية تقوم عند أصحابها على جملة من النظريات المهمة، فإن نظرية الفعل الكلامي تشكل النواة المركزية لها؛ إذ لا يكاد يخلو مؤلف في الدراسات اللغوية الحديثة من التعرض لهذه النظرية، ذلك أنها استطاعت أن تؤصل القيمة البراغماتية للعمل اللغوي حيث جعلت من طبيعة الفعل الكلامي حدثا مؤثرا، بل ومغيرا للعالم، فهذه النظرية وعبر واقعيتها العملية أعادت تشكيل العالم من خلال اللغة مستندة على حدودها الدلالية والوظيفية، ومعتمدة على قوتها الإنجازية، فتحولت معها وظيفة الظاهرة اللسانية من الوصف والإخبار إلى الإنجاز، والتأثير.

وسأتطرق في هذا المقال إلى آخر تطور بلغته هذه النظرية؛ وهو من الحجاجيّة إلى النصيّة

الكلمات المفتاحية: التداولية؛ أفعال الكلام؛ أفعال الكلام الحجاجية؛ فعل الكلام النصي؛ وظائف النص.

Abstract:

If the pragmatics among its researchers is based on a number of important theories, the theory of "speech acts" constitutes the central nucleus of it, and We rarely find a book in modern linguistic studies devoid of exposure to this theory, because it was able to root the pragmatic value of linguistic action; where it made the nature of "the speech act" An effected event, indeed a changing the world. This theory through its practical realism

reshaped the world through language based on its semantic and functional boundaries, and dependent based on its achievement power, as it shifted with it the function of the linguistic phenomenon from description and telling to achievement and influence.

In this article, I will touch on the latest development in this theory. It is from the argumentative to the textuality

Keywords : pragmatics; speech acts; argumentative speech verbs; textual speech acts; text functions

مقدمة:

عرف مفهوم "أفعال الكلام" مخاضا عسيرا حتى استوى على سوقه، وغدا نظرية مكتملة أسهمت في تفسير الكثير من القضايا التي عجزت عنها النظريات البنيوية، والدلالية رغم تنوع مدارسها، وكثرة أعلامها، وقد شارك في هذه المسيرة الطويلة نخبة من الفلاسفة، واللغويين الذين تركوا بصماتهم على مسار هذه النظرية العلمية الرصينة من خلال الأعمال النوعية التي أسهموا بها في تأسيس، وتأصيل هذه النظرية الحديثة، خاصة ما تعلق منها بالفعل الكلامي البسيط (ج.ل.أوستين J.L.Austin ، ج. ر. سيرل J.R.Searle ، بول قرايس Paul Grice) ثم اقتفى أثرهم لغويون أفذاذ، أثروا هذه النظرية الولادة، ومنحوها أفقا أرحب من خلال دراسة أفعال الكلام الحجاجية المركبة، ثم الفعل الكلامي الكلي المهيمن على النص؛ فانتقل معهم الفعل الكلامي من ضيق الجملة إلى سعة النص، ومن الاقتصار على المستوى النحوي التركيبي إلى الاهتمام بالمستويات الدلالية، والتداولية تماشيا مع التطورات، والمستجدات اللسانية، خاصة ما تعلق منها بلسانيات النص، ونظرتها الشاملة إلى اللغة.

أولا: نظرية أفعال الكلام؛ من التأسيس إلى التأصيل:

قبل الخوض في تطور نظرية أفعال الكلام، واتساع أفقها، يجدر بنا الإشارة إلى أصلها وجذورها الأولى، لأننا نرى في هذا الربط منهجا قويما لفهم أي قضية لغوية، وإدراك خباياها.

يُعدّ (جون أوستن J.L.Austin)* المؤسس الحقيقي لنظرية أفعال الكلام، أين ظهر تأثيره البارز في هذا الشأن من خلال مؤلفه الموسوم بـ"How to do things with words"، فقد عارض منذ البداية النظرة القاصرة لآراء فلاسفة اللغة الوضعانيين[1] الذين اعتبروا الملفوظات غير الوصفية لا معنى لها، ولا جدوى من دراستها، فأطلق على هذا التحديد اسم المغالطة الوصفية، أو "الوهم الوصفي"[2]، ثم قرّر أن الفعل اللغوي يمثل شكلا من أشكال السلوك الاجتماعي، لأنه يمثل الممارسة اللغوية، والتفاعل التواصلي، وخلص إلى استبدل (وصف/ إنجاز) بثنائية (قول/فعل)[3] بعد اقتناعه باستحالة الفصل بين الجمل الوصفية، والجمل الإنجازية، ومن هنا بدأ تأسيسه الفعلي لنظرية أفعال الكلام منطلقا من استنتاج مفاده: إن التلفظ

بالكلام ما هو في الحقيقة إلا إنجاز لفعل ما[4]، واعتبر الفعل اللغوي وحدة مركبة من ثلاثة عناصر فعلية[5] لا يمكن فصلها إلا إجرائيا، وهي[6]: (الفعل القولي، والفعل الإنجازي والفعل التأثيري) ليختم أعماله بتصنيف أفعال الكلام على أساس قوتها الإنجازية إلى خمسة أصناف هي: (الحكميات، الممارسات، الوعديات، السلوكيات، العرضيات)[7]

جاء بعده تلميذه (ج. ر. سيرل J.R.Searle) الذي أضاف فأبدع، وضبط فأحكم، حتى استوى على يديه مفهوم أفعال الكلام نظرية محكمة رصينة، تستهوي القاصي والداني، فقد وضع مصطلح "speech acts"* الذي غدا حديث العام، والخاص في هذه النظرية.

قرّر "سيرل"منذ البدء أن الوحدة الأساسية الصغرى للتبليغ والتواصل هي "الفعل الإنجازي" ثم وضع قواعد تتحكم في إنجاز هذا الفعل، وتحقق نجاحه، كما اهتم "سيرل" بالأفعال الكلامية غير المباشرة[8]، لأنه يعتقد أنها أكثر تأثيرا، وتواترا في كلامنا من الأفعال المباشرة؛ فنحن نميل في حواراتنا إلى التلميح أكثر من التصريح لأسباب عدة منها: التأدب والإحراج، وحفظ ماء الوجه[9] ليصل أخيرا إلى وضع تصنيف خماسي لأفعال الكلام بالتركيز على ثلاثة معايير؛ (الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة، الموقف النفسي)، يشمل الإخباريات والتوجيهيات، والإلزاميات والتعبيريات، والإعلانيات[10].

جاء بعدهما (بول قرايس Paul Grice)، فأكمل المسيرة؛ حيث "قام بعمل جبّار لإبراز القيمة التداولية للكلام"[11] من خلال وضعه جملة من القوانين، والمبادئ الصارمة التي توضح كيفية استعمال الناس للغة بطريقة فعّالة، ومؤثّرة، فتوصل إلى أن الناس في حواراتهم:

- قد يقولون ما يقصدون ... الجو بارد (إخبار عن يوم شتوي بارد)
- وقد يقصدون أكثر مما يقولون ... الجو بارد (إخبار+ -أمر- اغلق الباب)
- بل قد يقصدون عكس ما يقولون ... الجو بارد (أثناء وقوع حريق -تَهكُّما-)

وركّز اهتمامه على كيفية التمييز بين ما يقال من معان مباشرة صريحة مستخلصة من الصيغة الحرفية للجملة، وبين ما يُقصد من معان ضمنية غير مباشر، تفهم من السياق، ووضع لذلك مبدأ التعاون "The Cooperative Principle" هذا الأخير الذي يحكم الحوار بين المتكلم والمخاطب، وهو مبدأ حواري عام مفاده: "ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه الحوار وبما يتوافق مع الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار"، وضرب مثالا لاحترام قواعد مبدأ التعاون:

*الزوج: أين مفاتيح السيارة؟

*الزوجة: فوق المكتب،

في هذا الحوار تتمثل كل مبادئ التعاون حسب جرايس؛

- فقد أجابت الزوجة إجابة واضحة(الطريقة)،

- وكانت صادقة(الكيف)،
- واستخدمت القدر المطلوب من الكلمات (الكم)،
- وأجابت إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال زوجها (الملاءمة)
- فلم يتولد عن قولها استلزام، لأنها قالت ما تقصد "[12]؛ أي أنها أجابت بما قل، ودل، وتكلمت حسب قصدها، فكان كلامها صريحا لا تلميح فيه، يحمل معان مباشرة مستخلصة من الصيغة الحرفية للجملة

ثانيا: أفعال الكلام الحجاجية -المركبة-

إذا كان المؤسسون الأوائل لنظرية "أفعال الكلام" متفقين على أن الفعل الكلامي -كما أشرنا- هو عمل ينجزه الإنسان حال تلفظه بكلام ما، وهو يعكس نشاطا اجتماعيا أكثر من دلالته على مجرد أصوات، وصيغ، فإن من أكمل مسيرتهم من العلماء وعلى رأسهم (أوزفالد ديكرو Oswald Ducrot) في كتابه " Argumentation In Language " خاصة يرى أن أهم عمل ينجزه الفرد بكلامه هو التأثير، والإقناع، حتى شاعت الفكرة التي أشبهت القاعدة "إننا نتكلم عموما بقصد التأثير"؛ فاللغة الطبيعية تحمل في أنويتها جينات حجاجية تساهم في توجيه الخطاب وجهة دون أخرى، والنشاط اللغوي لا يهدف بالأساس إلى مجرد الإخبار، والتواصل، أو تبليغ المعلومة فحسب، بل يمثل أيضا أنماطا من الأفعال التي تتجسد على أرض الواقع في صورة أحداث تؤثّر في حياة الأفراد، بل وتغيّر من سلوكاتهم قِبَل منحى بعينه، وتجعلهم يتبنّون مواقف دون سواها، الأمر الذي يعطي لهذه الأفعال اللغوية أبعادا غاية في الأهمية، والخطورة.

في هذا الإطار تخطّى العالمان (فان إيميرن V.Eemeren)، و(غروتندورست R.Grootendorst)** مرحلة الفعل اللغوي البسيط المقتصر على حدود الجملة الضيق إلى الفعل الكلامي الحجاجي المركب الذي يتخطى في الغالب حدود الجملة الواحدة، فيربط بين جملتين، أو أكثر في النص، ونَظَرًا إلى الحجاج على "أنه فعل لغوي مركَّب"[13]، يختلف عن أفعال اللغة البسيطة؛ إذ يريانه "عملية تتبع للتوفيق بين الآراء المتنافرة في إطار نقاش نقدي"[14]، حيث ميّزا بين خصائص الفعل الكلامي البسيط، والفعل الحجاجي المركب، وحوصلا هذا الاختلاف من خلال الجدول التالي:[15]

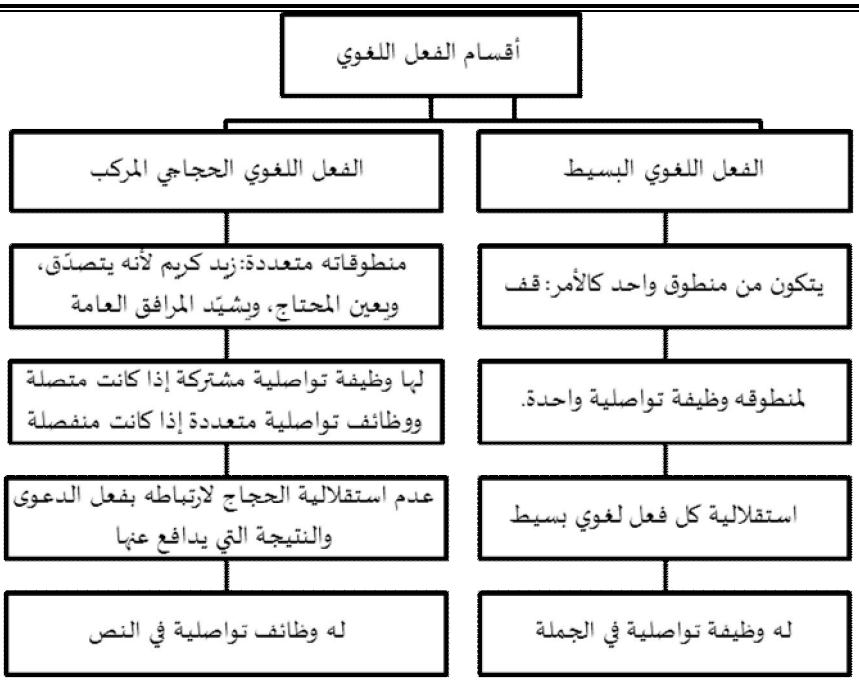

واقتفى الباحثان أثر "سيرل" -المقنِّن الفعلي لهذه النظرية-آخذيْن بمبدئه في تحديد شروط أداء الفعل اللغوي، ثم وضعا شروطا يجب توافرها حتى يؤدى فعل الحجاج المركَّب أداء موفقا[16] وقسماها إلى شروط للحجَّة المثبتة، وأخرى للحجَّة المبطِلة، وضمنها أدرجا شروط التحديد وشروط التصحيح، وفق ما يلي؛

1- **شروط التحديد**: يفيد استيفاؤها في تحديد ما إذا كان المنطوق فعلا لغويا، وإلا استحال على المتلقي أن يميّز بين وعد، ووعيد، والتماس...وأن يعرف النتائج المترتبة عليها، ثم جعلا شروط التحديد مجموعتين[17] هما شروط المضمون القضوي، والشرط الجوهري:

أ- شروط المضمون القضوي: تجعل كل واحد من المنطوقات (1، 2....ن) (الحجج) يحقق فعلا لغويا بسيطا (1 أو 2...أو ن) يفيد التزاما تجاه القضايا المعبَّر عنها

ب-الشرط الجوهري: مفاده أن تحقيق مجموع أفعال اللغة البسيطة (1، 2، ...ن) (الحجج) يعني أن المتكلِّم يسعى إلى تعليل "ب" (الدعوى، أو النتيجة).

2-**شروط التصحيح**: يجب استيفاؤها حتى يكون المنطوق تحقيقا صحيحا لفعل لغوي، ثم قسّما شروط التصحيح إلى مجموعتين: شروط ابتدائية، وشروط التزامية:[18]

أ-الشروط الابتدائية: تضم مجموعة من القواعد:

- أن يعتقد المتكلِّم أن المستمع لا يقبل ادِّعاءه لـ "ب" (الدعوى أو النتيجة)، أو على الأقل لا يقبل تلقائيا، أو كليا ذلك الادِّعاء.

- يعتقد المتكلم أن المستمع مستعد لقبول كل قضية من القضايا التي تعبّر عنها الأفعال البسيطة (1، 2، ...ن) (الحجج) -كلٌّ على حدى-
- يعتقد المتكلم أن المستمع مستعد لقبول مجموع الأفعال البسيطة (1، 2، ...ن) (الحجج) من حيث هي تعليل مقبول لـ "ب" (الدعوى أو النتيجة)

ب-الشروط الإلزامية: تضم مجموعة من القواعد[19]:

- أن يعتقد المتكلم أن ادِّعاءه لـ "ب" مقبول.
- أن يعتقد المتكلِّم أن القضايا التي تعبِّر عنها الأفعال البسيطة (1، 2، ...ن) مقبولة.
- أن يعتقد المتكلم أن مجموع الأفعال البسيطة (1، 2، ...ن) تعليل مقبول لـ "ب" (الدعوى أو النتيجة).

ومن أجل توضيح شروط، وكيفية أداء فعل الحجاج المركب وضعا هذا المثال التوضيحي:

"ستحسن صنعا بأن لا تأخذ دروسا في السياقة؛

فعمرها يقارب الواحد والستين؛

وقلبها يفرق بسهولة؛

وتقاعدها لا يؤهلها لابتياع سيارة."[20]

شروط المضمون القضوي	تعبّر عن التزام بصدد مقبولية القضايا: 1-عمرها يقارب الواحد والستين. 2-وقلبها يفرق بسهولة. 3-تقاعدها لا يؤهلها لابتياع سيارة.
الشرط الجوهري	إن تحقيق (1-2-3) يعتبر محاولة يقوم بها المتكلم (م) لكي يُقنع المتلقي (ق) بأن دعواه مقبولة والتي هي: " ستحسن صنعا بأن لا تأخذ دروسا في السياقة ".
الشروط الابتدائية	1-يعتقد (م) أن (ق) لا يقبل دعواه، والتي هي: "ستحسن صنعا بأن لا تأخذ دروسا في السياقة" 2-يعتقد (م) أن (ق) سيقبل القضايا المعبَّر عنها في (1-2-3). 3-يعتقد (م) أن (ق) سيقبل جملة القضايا (1-2-3) كتعليل للقضية: "ستحسن صنعا بأن لا تأخذ دروسا في السياقة".

الشروط الالتزامية	1-يعتقد (م) أن الدعوى: " ستحسن صنعا بأن لا تأخذ دروسا في السياقة " مقبولة. 2-يعتقد (م) أن القضايا المعبَّر عنها في (1-2-3) مقبولة. 3-يعتقد (م) أن جملة القضايا (1-2-3) تشكِّل تعليلا مقبولا للقضية: "ستحسن صنعا بأن لا تأخذ دروسا في السياقة ".
الأثـــــر التواصلي (الفهم)	يفهم (ق) أن (1-2-3) تشكِّل حجاجا عن الدعوى "ستحسن صنعا بأن لا تأخذ دروسا في السياقة".
الشـــرط التفـاعلي (القبول)	يقبل (ق) (1-2-3) كتعليل للقضية: "ستحسن صنعا بأن لا تأخذ دروسا في السياقة "

تحليل وتعقيب:

العبارة "**ستحسن صنعا بأن لا تأخذ دروسا في السياقة، فعمرها يقارب الواحد والستين وقلبها يفرق بسهولة، وتقاعدها لا يؤهلها لابتياع سيارة.**" التي اقترحها اللغويان (فان إيميرن V.Eemeren) و(غروتندورست R.Grootendorst) تُشكّل فعلا حجاجيا مركبا يتكون من ثلاثة أفعال لغوية بسيطة، تمثل كلها حججا متساندة هي:

1-عمرها يقارب الواحد والستين.

2-وقلبها يفرق بسهولة.

3-وتقاعدها لا يؤهلها لابتياع سيارة.

تخدم كلها نتيجة أو دعوى واحدة مفادها: **أنها ستحسن صنعا بأن لا تأخذ دروسا في السياقة**

أما الحجة الأولى: فجاءت في شكل جملة خبرية اسمية تقرر حقيقة واقعية؛ فعمرها تجاوز العقد السادس؛ أي دخلت مرحلة الشيخوخة، وهذا عمر متأخر على تعلم السياقة، ومخاطرها.

أما الحجة الثانية: فجاءت كسابقتها في شكل جملة خبرية اسمية تقرر حقيقة طبية ثابتة مفادها أنها تعاني من الخوف، والرهبة، وهذا لا يساعدها على قيادة السيارة بشكل طبيعي.

أما الحجة الثالثة: فجاءت أيضا في شكل جملة خبرية اسمية لتدل على الثبات، وتفيد بأن معاشها قليل، وتقاعدها لا يسمح لها بشراء سيارة أو تسديد أقساطها بأريحية

فهذه الحجج الثلاثة المتساندة حملت أخبارا تثبت نتيجة واحدة، ودعوى منطقية هي أنه من الأحسن ألا تأخذ دروسا في السياقة؛ في إشارة إلى نيتها شراء سيارة.

وقد اعتمدت هذه الحجج على الرابط الحجاجي [السين] في بداية العبارة، والذي يفيد حجاجيا التأكيد، والنصح المستقبلي بهذا الشأن، إضافة إلى ورود الحجج الثلاث في شكل جمل اسمية تفيد ثبات الأمر، واستمراره، فلا أمل في تغير أوضاعها العمرية والصحية والمالية أو تحسنها.

ثالثا: فعل الكلام النصي: -الكلي، أو الشامل-

1-أقسام الأفعال الكلامية

تُعَدّ هذه الأعمال مرحلة هامة في مسيرة نظرية أفعال الكلام، ويمثلها بشكل دقيق (فان دايك van Dijk) الذي تجاوز في أعماله مرحلة الفعل الكلامي البسيط المتعلق بمجال الجملة الضيق وكذا الفعل الحجاجي المركب، واللذان يراهما غير كافيين لاستيعاب العناصر الدلالية والتداولية الوافدة[21]، حيث انتقل بالفعل الكلامي إلى رحاب أوسع هو النص؛ أين دعا إلى النظر إلى النص بوصفه فعلاً لغوياً من أفعال اللسان، أو بوصفه سلسلة من أفعال اللسان، يدل عليه قصد المتكلم، حيث يؤكد "فان دايك" على أنه في حال تكلمنا، فإننا ننجز شيئاً ما أوسع من مجرد التكلم.

يؤكد "فان دايك" أن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل هو إنجاز حدث اجتماعي معين كالتهديد، والسؤال، والنصح، والتبرئة، والشكوى وغيرها، لذلك قسّم في مرحلة أولى أفعال الكلام إلى أفعال بسيطة، وأخرى مركبة[22]؛ فأما الفعل الكلامي البسيط هو ما يحدث عنه أثر واحد مراد، بينما الفعل الإنجازي المركب هو ما تركب من أفعال بسيطة جزئية متتالية ثم أدخل مفهوم الفعل الإنجازي المساعد، وميّزه عن الفعل البسيط؛ والفعل المساعد -حسبه- هو "كل فعل تُقصَد نتيجته كشرط كافٍ لنجاح فعل رئيسي"[23]؛ أي يجعل جزء الفعل البسيط وحده ناجحاً.

عاد "فان دايك" وقسَّم أفعال الكلام المركبة بدورها إلى قسمين؛ مؤلفة ومعقَّدة؛ فأما المؤلفة فهي التي تقوم على عناصر أفعال مكونة من نفس المستوى (أفعال بسيطة)، وأما المعقَّدة فهي التي تقوم على أفعال مكونة من مستويات عدة (أفعال بسيطة + أفعال مساعدة)، ثم فرَّق بين الفعل الكلامي المركَّب، ومتوالية أفعال الكلام[24]؛ إذ اعتبر أن للأول نتيجته مخططة سلفا ومحددة قصداً، عكس الثانية التي قد تكون العلاقات الموجودة بين أفعالها مستقلة بعض الاستقلال ولم تصمم مسبقا لتحقيق نتيجة مخصوصة.

2-السياق والقصدية

اهتم (فان دايك van Dijk) بالسياق، وقصد المتكلم اهتماما كبيرا، وعرف السياق بقوله إنه "عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث"[25]، مع مراعاة حال المتكلم والمخاطب؛ والسياق التداولي يشمل حسبه كل العوامل النفسية، والاجتماعية التي تتّحد نسقياً لكي تلائم أفعال اللسان كالمعرفة والرغبات... فهو يُحدّد بدقة القوة الإنجازية لأفعال الكلام

بين "فان دايك" أنه خلال السياق يحدث تغيير ما على المخاطب طبقاً لأغراض، ومقاصد المتكلم مع شرط التواضع والاتفاق، واقترح لتحليل متوالية أفعال الكلام أن تُنزّل هذه الأفعال في سياقاتها التي تمثل متوالية من أحوال اللفظ، كما أقرّ بأنه لا توجد فائدة من التكلم عن ضروب إنجاز قوى أفعال الكلام خارجاً عن السياق المحدد تحديدا اجتماعيا

يذهب إلى أن تحليل الأفعال الكلامية من الأفضل أن يقتصر على النصوص التي تملك بالفعل سياقا تداوليا حقيقيا؛ حيث يرى أنه من الممكن في بعض النصوص الشفهية إدراج بعض الأفعال الماوراء لغوية كتعبيرات الوجه، وحركة الجسم في تحليل أفعال الإنجاز الكلامية إذ قد تدل على الفعل الكلي[26]

3-من الدلالة إلى التداولية:

نبّه (فان دايك van Dijk) في مرحلة متقدمة من أعماله إلى أنه يمكن تحليل النصوص على المستوى التداولي بوصفها متوالية من أفعال الكلام، مثلما تُحلَّل دلاليا على أنها متوالية من الجمل، بل ويصرح بأنه كما أنه من الضروري إدخال بنى كبرى[27] بخصوص تأويل المضمون الإجمالي للنص فإنه لمن الضروري إدخال بنى كبرى تداولية، كي نستطيع أن نتكلم عن الوظيفة الإجمالية للنص فمتواليات أفعال الكلام الإنجازية المتنوعة، مثلها مثل متوالية الأفعال المجردة تستدعي وضع تخطيط وتأويل مسبق، ورَبَط تحليل متواليات إنجاز قوى أفعال الكلام بمتواليات جمل الخطاب؛ إذ أن حدود الجملة يمكن أن تمثل حدود الفعل الكلامي في التحليل؛ فالجملة البسيطة عنده هي اقتضاء بالمعنى التداولي؛ أي يفرضها المتكلم، ويعللها المخاطب، أما الجملة المركبة فهي ما كان بين أجزائها علاقة إقتضائية لا يمكن فهم إحداهما دون الأخرى.

يرى (فان دايك van Dijk) أن العلاقات بين الجمل ليست علاقات دلالية فحسب، بل هي علاقات تداولية أيضاً، تتكون عن طريق الروابط التداولية كروابط العِلّيَة، والاستنتاج (لذلك، إذن)، ثم فرّق بين الاستعمال الدلالي لهذه الروابط[28] واستعمالها التداولي؛ فالأول يشير إلى العلاقات بين الوقائع، والثاني يشير إلى العلاقات بين الأفعال الكلامية؛ فالواو مثلا قد تربط تداولياً حالة القبول، والرفض، كما يقرّ بوجود علاقة بين البنية الدلالية الكبرى في النص، وبين الفعل الكلامي الإنجازي الشامل، أو الكلي فيه، وأن معنى الخطاب يرتبط ارتباطا وثيقاً بفعل الكلام الكلي في النص، ولكن تلك العلاقة ليست حتمية في جميع السياقات أو النصوص.

4-الفعل الكلامي النصي: (الكلي)

اقتنع (فان دايك van Dijk) أخيرا أن النصّ فعل لغوي مركب، يجب أن يؤدي فيه كل منطوق للجملة وظيفة خاصة، وتتكوّن أبنية الإنجاز عبر الأهداف الجزئية التي يريد المتكلم أن

يحقّقها من خلال فعله اللغوي، وأن متواليات أفعال الكلام الإنجازية لها وظيفة مجتمعية واحدة، كما لو كانت فعلاً إنجازياً واحداً، يجوز أن نطلق عليه الفعل الكلامي الشامل أو الكلي[29]، وأن الأفعال البسيطة المكونة للنص يمكن أن يُنجَز بعضها بنجاح، وبعضها الآخر بإخفاق، إلا أن العبرة بتحقق الخطة أو التصميم؛ أي بنجاح الفعل الكلي

يعتقد "فان دايك" أن البحث عن بنية كلية شاملة لأفعال الكلام أمر حتمي، رغم أن تصميمها قد يتخالف مع التصميم الذهني للأحداث، لأن متوالية أفعال الكلام تكون لها وظيفة إجمالية واحدة؛ حيث يوجد في كل نصّ فعل إنجازي مهيمن، يميز الوظيفة التواصلية لهذا النص، وأن بقية الإنجازات الثانوية تدعم هذه الوظيفة[30]، كما يقترح "فان دايك" لكشف البنية التداولية الكبرى عمل خطاطات، تقوم على بنيات تراتبية لتنظيم كلي للمتوالية وأن البنيات التداولية الشاملة تحوي أفعالا جزئية تمهيدية، وأفعالا ضرورية، وأفعالا مساعدة وأفعالا اختيارية، وأنه يمكن ترك، أو حذف غير المهم منها للوصول للمهم مباشرة[31]

يحصر "فان دايك" وظيفة البنية الشاملة في دمج المعلومات إلى أدنى مستوى، وفي تنظيم هذه المعلومات بالنظر إلى المتوالية ككل؛ إذ يمكن التعويض عن عدة أفعال بفعل واحد، فتنضوي أكثر من جملة منها في حكم واحد[32]؛ فالوصول إليها يكون بواسطة العمليات الأولية من اختيار، و حذف، وتعويض، لأن تحليل أفعال الكلام في كثير من النصوص المختلفة يقوم على قصود المتكلمين الجزئية التي تفضي إلى القصد الشامل للنص، لذا وجب الاهتمام بالفعل الإنجازي أثناء التحليل، لأنه يمثّل مراد المتكلم مما يعين على فهم النص الفهم الأمثل، وقد أوصي "فان دايك" بمراعاة الضوابط المحددة لترتيب التمثل الذهني لأفعال الكلام؛ من ترتيب لمتوالية الحدث وفهمها، وترتيب نقل المعلومات، وقوى أفعال الكلام وفق موضوع التحاور، وتأويلنا للأحداث انطلاقا من ملاحظاتنا.

5-فعل الكلام ووظيفة النص:

أسهم (كلاوس برينكر klaus brinker) في نظرية أفعال الكلام من خلال استغلالها في تحديد وظيفة النص، فوضع معايير، ومؤشرات لتحديد هذه الوظيفة، وقد ربط وظيفة النص بغرض المتكلم الذي يجسده الفعل المهيمن على النص، إذ يرى أن أحسن وسيلة لتحديد هذه الوظيفة هي اعتماد نظرية الأفعال اللغوية، لذلك ركّز جهده على تحليل هذه الوظيفة في ضوء تلك النظرية فهو يعرّف وظيفة النص على أنها "الغرض الذي يحققه نص ما في إطار موقف تواصلي"[33]

قرّر (كلاوس برينكر klaus brinker) أن أنجع سبيل إلى الوصول إليها هو اعتماد هذه النظرية التي تنظر إلى اللغة بصفة عامة على أنها نظام لغوي كلّي للفعل في مجتمع ما، متضمنا فيها دائماً النظام القاعدي النحوي فقد عدّ الفعل الإنجازي الوحدة الأساسية لتكوين النصّ،

وعرّف تحليل بنية الإنجاز في النصّ بأنه تتابع من أفعال لغوية أساسية بُنِي بصورة متدرّجة؛ إذ تقوم بين الأفعال الإنجازية علاقات دنيا وعليا متنوعة، حيث يهيمن فعل إنجازي محدد في العادة على الأفعال الأخرى، وصرّح بأن الفعل المهيمن يعيّن الهدف الكلي للنص[34]، فيما تستخدم الأفعال الإنجازية الأخرى في دعم هذا الفعل الإنجازي المهيمن، وتأكيد نجاحه

اختار (كلاوس برينكر klaus brinker) تنميط "سيرل" للإنجاز أساساً لتقسيم وظائف النصّ، غير أنه-عكس غيره- اعتمد معياراً موحداً لتحديد هذه الوظائف، هذا المعيار هو نوع الاحتكاك التواصلي الذي يعبر به الباث بالنص نحو المتلقي، فقام بتعديل تنميط "سيرل" فيما يتعلق بمقولتي "الإخباريات والتعبيريات"، وعدّ الوظيفة الشعرية -الجمالية- وظيفة إضافية محتملة تسود نصوصا أدبية، بل وتعدّ أساس موضوع بحوث أدبية[35]، فبيّن أن النص قد يحمل عدة وظائف؛ فيكون ذا وظيفة معلوماتية، أو إقناعيه، أو إمتاعيه، أو سوى ذلك من الوظائف، وأن الوظيفة الغالبة على النص هي التي يُطلق عليها وظيفة النص.

يعتقد "برينكر" أن فعل الإنجاز الشامل هو الذي يعين الغرض الكلي للنص؛ أي وظيفته واقترح طريقة لتحليل وظيفة النص تعتمد على مؤشرات، ووسائل لغوية من داخل النص وأخرى سياقية خارج نصية، وجعلها ثلاثة أنماط أساسية من المؤشرات هي[36]:

أ- صيغ وأبنية لغوية: يعبّر بها الباثّ بشكل صريح عن نوع الاحتكاك التواصلي المقصود حيال المتلقي، ويصبح التأشير إلى وظيفة النص بمقتضى ذلك تأشيراً واضحاً.

ب-صيغ وأبنية لغوية: يُعبر بها الباث بشكل صريح، أو ضمني عن موقفه من مضمون النص وبخاصة من موضوع النص؛ من حيث الصدق والاحتمال، ومن حيث درجة اليقين، ومن حيث التقويم، ومن حيث درجة اهتمامه بمضمون النص، ومن حيث موقفه النفسي منه.

ج-مؤشرات سياقية: مثل الإطار الموقفي للنص، والمجال الاجتماعي للفعل، والمعرفة الخلفية عن مضمون النص.

يصل "برينكر" في الأخير إلى أن التحليل السياقي للنص قد يقدّم الكلمة الفصل في تحديد وظيفة النص، ومن أجل تعيين هذه الوظائف النصية الأساسية انتقد تصنيف "سيرل" للأفعال الكلامية لأنه قام على معايير متباينة، ثم أعاد أخيرا النظر فيه، وجعله خاضعا لمعيار موحد، وانتهى إلى القائمة الآتية لوظائف النص[37]:

1-وظيفة الإبلاغ: يُفهم الباثّ المتلقي أنه يوفر له معرفة، ويريد أن يبلغه شيئاً ما، ويُؤشّر إليها بصياغات أدائية صراحة كالأفعال: أبلغ، أعلم، أحيط علماً ....، وترتبط وظيفة الإبلاغ كثيراً بمواقف موضوعية أو تقويمية.

2-وظيفة الاستثارة: يُفهم الباثّ المتلقي أنه يحثّه على أن يتخذ موقفاً محدداً تجاه شيء ما (التأثير في الرأي)، أو أن ينجز فعلاً معيناً (التأثير في السلوك)، ويمكن أن تُؤشّر إلى الوظيفة

الاستثارية للنصّ من خلال صياغات أدائية صراحة بالأفعال: دعا إلى، أصدر أمراً، رجا، نصح أوصى، اقترح طالب بـ، كلّف...، وتُعدُّ هذه الوظيفة صالحة للنصوص الحجاجية التي ترمي إلى الإقناع.

3-**وظيفة الالتزام**: يُفهم الباثّ المتلقِي أنّه ملزم بإنجاز فعل معين، ويمكن أن تُؤشّر إلى وظيفة الالتزام مباشرة من خلال صياغات أدائية صراحة بالأفعال: وعد، التزم، أقسم، تحمل، أظهر الاستعداد، ضَمِن، راهن، عرض ...، وترتبط وظيفة الالتزام بمواقف موضوعية ذات طبيعة إرادية ومقصدية، أمّا الأنواع النصية التي لها وظيفة التزام فهي: العقد، والاتفاقية المكتوبة، وشهادة الضمان، والنذر، والعهد، والعرض.

4-**وظيفة الاتصال**: يُفهم الباثّ المتلقي أن الأمر يتعلق بالنسبة له بالعلاقة الشخصية، ويُؤشّر إلى الوظيفة الخاصة بالاتصال من منظور مباشر من خلال صياغات أدائية صراحة مع الأفعال: شكر، تمنّى التوفيق، هنّأ، شكا، رحب، واسى، لعن ...، وترتبط نصوص الاتصال كثيراً بدوافع اجتماعية راسخة تتطلب التعبير عن الموقف النفسي للباث، المقرون في الغالب بمواقف موضوعية كالحزن والأسف، والسُرور ...، والفيصل في ذلك ليس التعبير عن الإحساس بل وفاء الباث بتوقع اجتماعي.

5-**وظيفة الإعلان**: يُفهِم الباث المتلقي أن النصّ يُوجِد واقعاً جديداً أي أن (س) يُنظر إليه على أنه (ص)، وأن المنطوق الناجح للنصّ يعني إدخال عامل معين، وتتعلق في الغالب بنصوص مرتبطة بمؤسسات اجتماعية معينة، ومنها نصوص الوصايا والتوكيل ...

الهوامش:

* جون لانغشو أوستن John Langshaw Austin (1911 - 1960)، فيلسوف إنكليزي، وأحد أهم ممثلي فلسفة اللغة، والفلسفة التحليلية، ولد في مدينة لانكاستر، تخرج من جامعة أكسفورد، وتخصص في الآداب اليونانية، والرومانية، وشغل فيها كرسي الفلسفة الأخلاقية مِن عام 1952 حتى وفاته في أكسفورد.

1 ينظر: جون لونغشو أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد القادر قينيني، أفريقيا للشرق،1991، ص 13- 14

2 آن روبول وجاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الباحثين بإشراف عز الدين مجدوب، إشراف خالد ميلاد، دار سيناترا، تونس، 2010، ص50

3 ينظر: كاترين أوريكيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة: محمد نظيف، دار أفريقيا الشرق، المغرب،2007، ص39.

4 " «Cf. Gilles Siouffi .Dan Van Raemdonck. «100 fiches pour comprendre la linguistique» breal.france .1999.p146

5 ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب؛ مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2004م.، ص 155

6 ينظر: أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر د.ط، 2002. ، ص45، وجوتس هنده لانج، مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق ط1، 2012/1433.، ص 42

7 ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر. بيروت لبنان. الطبعة الأولى، 1993.، ص222-223، وأحمد نحلة، مرجع سابق، ص46

8 ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، مرجع سابق، ص 136 وجوتس هنده لانج، مرجع سابق، ص159

9 ينظر: أحمد محمود نحلة، مرجع سابق، ص 82

10 وجوتس هنده لانج، مرجع سابق، ص78-85

11عبد السلام عشير، عندما نتواصل، الدار البيضاء، المغرب، 2006م.ص25

12 ينظر: أحمد محمود نحلة، مرجع سابق، ص 35

13 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط2، 2006، ص 262.

** روب غروتندورست (1944- 2000)، و فان إيمرين 1946 باحثًا ن هولنديان في نظرية الاتصالات، والحجاج كانا أستاذَين في جامعة أمستردام، بدأت مساهمتهما في مجال الجدلية البراغماتية في نظرية الجدال، منذ أوائل الثمانينيات، وقد نشرا العديد من الكتب، والأبحاث، بما في ذلك المناورة الاستراتيجية في الخطاب الجدلي

14 فليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة محمد الصالح ناحي، مطابع جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ط1، 2011. ص59

15 ينظر: فان إيمرين و"غروتندورست، الحجاج فعل لغوي مركَّب"، ترجمة ياسين ساويرس المنصوري، مقال ضمن مؤلَّف الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي: الجزء الخامس، نصوص مترجمة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن الطبعة الأولى، 2010م ص .199

16 ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، مرجع سابق، ص 262 - 263

17 ينظر: فان إيمرين وروب غروتندورست، مرجع سابق، ص 200

18 ينظر: فان إيمرين وروب غروتندورست، مرجع سابق، ص 200

19 ينظر: فان إيمرين وروب غروتندورست، مرجع سابق، ص 202

20 نفس المرجع، ص 203

21 ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع الطبعة الثانية، 2010، ص245

22 ينظر: فان دايك، النصّ والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، 2013، ص 305

23 نفس المرجع، ص 307

24 ينظر: نفس المرجع، ص 306

25 فان دايك، النص والسياق، مرجع سابق، ص 329

26 ينظر: نفس المرجع، ص 330

27 ينظر: فان دايك: علم لغة النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، الطبعة الأولى، 2001م، ص 208

28 ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م، ص25

29 ينظر: فان دايك، النص والسياق، مرجع سابق، ص 402

30 ينظر: زبيله كريمر، اللغة والفعل الكلامي والاتصال؛ مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى،2011، ص118.

31 ينظر: فان دايك، النص والسياق، مرجع سابق، ص 407

32 ينظر: فان دايك، النص والسياق، مرجع سابق، ص 412

33 كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الاساسية والمناهج، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2 2010، ص 121

34 ينظر: نفس المرجع، ص119.

35 ينظر: كلاوس برينكر: مرجع سابق، ص 153

36 ينظر: نفس المرجع، ص 143

37 ينظر: نفس المرجع، ص 154-175

المراجع:

1- آن روبول وجاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الباحثين بإشراف عز الدين مجدوب، إشراف خالد ميلاد، دار سيناترا، تونس، 2010

2- أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 2002

3- الأزهر الزناد، نسيج النص؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م

4- جوتس هنده لانج، مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق ط1، 2012/1433

5- جون لونغشاو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد القادر قينيني، أفريقيا للشرق،1991
6- زيبيله كريمر، اللغة والفعل الكلامي والاتصال؛ مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى،2011
7- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع الطبعة الثانية، 2010
8- صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر. بيروت لبنان. الطبعة الأولى، 1993
9- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط2، 2006
10- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب؛ مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2004م.
11- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، الدار البيضاء، المغرب، 2006م
12- فليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة محمد الصالح ناحي، مطابع جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ط1، 2011
13- فان دايك، النصّ والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، 2013، ص 305
14- فان دايك: علم لغة النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، الطبعة الأولى، 2001م
15- كاترين أوريكيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة: محمد نظيف، دار أفريقيا الشرق، المغرب،2007
16- كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الاساسية والمناهج، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2
17- Cf. Gilles Siouffi .Dan Van Raemdonck. «100 fiches pour comprendre la linguistique» breal.france .1999

المقالات:

1- فان إيميرن و"غروتندورست، الحجاج فعل لغوي مركَّب"، ترجمة ياسين ساويرس المنصوري، مقال ضمن مؤلَّف الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي: نصوص مترجمة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، الجزء الخامس، 2010م